في أسباب الحضور الباهت للتديّن الدعوي في الثورة السورية

رشيد الحاج صالح[1]

يتناول البحث الذي بين أيدينا كيفية تفاعل التديّن الدعوي مع الأوضاع العامة في سورية بعد عام 2011. وأسباب استفادة النظام السوري بالمجمل من هذا الشكل من التديّن، على الرغم من أن الأيديولوجية البعثية الرسمية للنظام السوري أيديولوجية علمانية متطرفة وصلت في ثمانينيات القرن المنصرم إلى درجة النظر إلى من يصلي في الجامع على أنه «مشتبه به"، مثلما كانت غالبية عناصر الجيش العربي السوري تتجنب الصلاة علنًا. يقابل ذلك حرص حافظ الأسد على نقل التلفاز أداءَه صلاة العيد، ودعوته غالبية رجال الدين في سورية إلى ولائم عامرة في شهر رمضان المبارك.

يعد التديّن الدعوي شكلًا من أشكال التديّن موجودًا بصورة أساس لدى الدعاة والمتصوفة السوريين، ممن يفصلون فصلًا تامًا بين أمور الدين وشؤون السياسة في تعاليمهم الدينية، أو إذا شئنا الدقة يمكن القول إنه شكل من أشكال التديّن ينأى بتعاليمه عن السياسة نأيًا شبه كامل، بحيث لا تشكل الأوضاع السياسية في سورية مجالًا مفكرًا فيه، ولا موضوعًا يجب أن يتجه إليه إدراك الناس. يقتصر نشاط هؤلاء على الدعوة والوعظ والفتاوى، وحث الناس على التمسك بتعاليم الدين الإسلامي السمحة. كما أن هذا التديّن يرفض أي شكل من أشكال التنظيم السياسي الديني على شاكلة تنظيم الإخوان المسلمين. وذلك على الرغم من أنه شكل من أشكال التديّن ينطوي في النهاية على نوعٍ من التفكير السياسي الذي يفضل عدم الربط بين التدين والحياة السياسية للبلاد، فهو، على الرغم من عدم اهتمامه بالجانب السياسي، يحمل في طياته أهدافًا سياسية أكثر بكثير مما يتوقع المرء.

المفارقة في هذا الشكل من التديّن أنه يرفض في تعاليمه جعل السياسة مجالًا مفكرًا فيه، على الرغم من أن عددًا كبيرًا من رموز هذا التدين الدعوي في سورية كان له حضور في عالم السياسة، حتى هناك من يمكن اختصار حياته كلها بأنها مجموعة من تكتيكات وحسابات سياسية. لدرجة أن محمد حبش (داعية معارض للنظام السوري) يصف غالبية من يعمل في المجال الديني من شيوخ ودعاة وفقهاء بأنها شديدة المكر والدهاء السياسي، وأنها كثيرًا ما تنسج شبكة علاقات سياسية ومخابراتية شديدة التعقيد للوصول إلى أهدافها، والنيل من منافسيها[2].

يتوزع التديّن الدعوي في سورية بين فئتين أساسيتين هما الدعاة والمتصوفة؛ الدعاة وهم فئة من الدارسين والعارفين بأمور الدين الإسلامي تعمل على الدعوة عبر منابر ومنتديات ومحاضرات ومراكز علمية ومساجد

(1) رشيد الحاج صالح: عضو هيئة التحرير في «مجلة قلمون»

(2) محمد حبش، «المؤسسة الدينية في سورية ومأزق المفتي»، موقع الدكتور محمد حبش، 6-8-2016. https://mohammadhabash.org/2016/08/28/الدكتور-محمد-حبش-المؤسسة-الدينية-في-سو/

وقنوات راديو وتلفاز ويوتيوب ومواقع ألكترونية وأقراص CD، تدعو من خلالها المسلمين السوريين إلى الالتزام بتعاليم الإسلام وأخلاقه، وفهمه الفهم «الصحيح»، أما طريقتهم في ذلك فتقوم على «النصح» و«التذكير»، وتأكيد ضرورة أن يتحلى المسلم بكل الصفات المثالية والأخلاقية والدينية الحميدة، مثلما يكثرون من تخويف الناس من الآخرة، ويهولون يوم دخول الإنسان إلى قبره. يضاف إلى ذلك كله دعواتهم إلى التسامح ونبذ العنف والتعايش بين أتباع مختلف الأديان. وبكلمة أخرى يقوم منهجهم على أن أوضاع المسلمين بحاجة ماسة إلى إصلاح واسع، وأن هذا الإصلاح الديني للمجتمع ينطلق أولًا من إصلاح المسلم نفسَهُ، واتباع تعاليم الدعاة. ويأتي في مقدمة هذه الفئة الشيوخ محمد راتب النابلسي، المرحوم محمد سعيد رمضان البوطي وولده، أحمد حسون مفتي سورية الحالي، أحمد معاذ الخطيب، وهو خطيب سابق للجامع الاموي ورئيس سابق أيضًا للائتلاف الوطني، المرحوم أحمد كفتارو هو مفتٍ سابق لسورية، إضافة إلى محمد كريم راجح، فتحي الصافي، جودت سعيد، محمد حبش، محمد سرور وغيرهم كثير.

أما الفئة الثانية من التديّن الدعوي فهي فئة شيوخ الطرق الصوفية. وهؤلاء غالبًا ما يتوارثون هذه الطرق عن آبائهم، ولكل منهم طريقته وأتباعه وتقاليده الخاصة، أما أهم الطرق الصوفية في سورية فهناك الطريقة الخزنوية[3] في شمال سورية، إضافة إلى الطرق القادرية[4] والنقشبندية[5] والرفاعية[6] والكلتاوية[7] وغيرها.

طبعًا لا يغيب عن البال أن هذا التقسيم هو تقسيم مرن، ويمكن في بعض الحالات أن نجد نماذج يمكن وضعها في أكثر من فئة بالوقت نفسه. فقد جمع أحمد كفتارو – مثلًا - بين شخصية الشيخ الصوفي والداعية بالوقت نفسه، مثلما جمع محمد سعيد رمضان البوطي بين احترامه المتصوفة والتصوف الذي وجده عند والده، وشخصية الداعية والفقيه[8].

ومع ذلك هناك سمات وأولويات تحدد كل فئة. فعلى الرغم من أن ما يجمع بين الاثنتين أنهما تدعوان الناس

(3) أسسها في شمال سورية الشيخ أحمد الخزنوي الذي ولد في قرية خزنة في ريف القامشلي. بعد تلقيه العلوم الشرعية في تركيا أسس معهدًا لطلاب العلم الشرعي في قرية تل معروف القريبة من القامشلي، وتبني الطريقة النقشبندية. وتعد الطريقة الخزنوية من أشهر الطرق في شمال سورية.

(4) من الطرق الصوفية المنتشرة في سورية والعراق، والتسمية نسبة للشيخ عبد القادر الجيلاني الذي عاش في القرن الحادي عشر بالقرب من بغداد، ويعتبره البوطي وعدد كبير من المتصوفة، حتى من خارج الطريقة، رجلًا مثاليًا في علمه وأخلاقه. للطريقة مرقد للشيخ عبد العزيز بن عبد القادر الجيلاني في شمال غرب الحسكة. كما أن لهذه الطريقة انتشارًا في المغرب العربي.

(5) تعود الطريقة النقشبندية إلى محمد بهاء الدين شاه نقشبند (1713- 1788) المولود بالقرب من بخارى في أوزبكستان. ينسب أصحاب هذه الطريقة أنفسهم (والنسب امر مهم بالنسبة للطرق الصوفية) إلى أبو بكر الصديق والجعفر الصادق. تتميز الطريقة النقشبندية بال«الذكر الخفي» وهو نوع من الذكر الصامت، لأنهم يتخيلون أن للقلب لسان يذكر الله. تنتشر هذه الطريقة في تركيا وبلاد الشام والعراق ومناطق أخرى. للطريقة النقشبندية ثمانية «مبادئ» أساسية هي: مراقبة التنفس، مراقبة الخطوات، ارتحال الصوفي الداخلي، الخلوة، الذكر، السيطرة على الفكر، مراقبة الفكر والتركيز على الله. راجع: آنا ماري شميل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب (مترجمان)، (بغداد- كولونيا: منشورات الجمل، 2006)، ص 414.

(6) إحدى الطرق الصوفية المعروفة في بلاد الشام والعراق وتركيا. تعود إلى مؤسسها محمد بن علي الرفاعي الذي عاش في القرن الثاني عشر، وينسبه أتباعه إلى آل ابيت.

(7) نسبة لاسم حي في حلب. مؤسسها الشيخ محمد أحمد النهان عام 1964على أنقاض مسجد بسيط بناه العثمانيون. تضم الكلتاوية معهدًا شرعيًا ومدرسة داخلية. من شيوخها المعروفين هناك محمود الحوت ومحمد الرشواني.

(8) محمد سعيد رمضان البوطي، هذا والدي، (دمشق - بيروت: دار الفكر/ دار الفكر المعاصر، 1995)، ص 85. حيث يذكر البوطي بعض « كرامات» والده. أما منهج البوطي الابن الذي أخذه من والده فيقوم على أن التصوف أكبر وأهم من الطرق الصوفية، وبهذا المعنى يكون البوطي الابن متصوفًا، ولكن من دون طريقة صوفية محددة. راجع المصدر نفسه، ص 99. ويبدو أن البوطي لم يرغب بتبني طريقة صوفية معينة حتى لا يخسر جزءًا من جمهوره، ولا سيما أن منزلته الدينية أصبحت أكبر من أي طريقة صوفية محددة.

إلى الالتزام بالإسلام «الصحيح»، وتكثران من الاعتماد على الطرق العاطفية في الدعوى، ورواية القصص عن الأنبياء والصالحين لاستخلاص العبر، علاوة على الجانب العالمي لعملهما الديني الذي أوصل بعضهم إلى ماليزيا وأندونيسيا وكندا وبلغاريا وبلدان كثيرة، (غالبيتهم حصلت على دكتوراه فخرية من جامعات دينية أجنبية)، إلا أن لكل منهما أسلوبها الخاص الذي تتميز به.

فالدعاة لديهم مشروعات فكرية متكاملة (للنهوض بالإمة) تعتمد على التربية أو التضامن الاجتماعي، أو الإصلاح الديني أو الأخلاقي، أما المتصوفة فيهتمون بإشادة مدارس داخلية يعيش فيها طلابهم مجانًا، مثلما يهتمون كثيرًا بالعمل الخيري المنظم، أما من الناحية الدينية فيركزون على «حلقات الذكر» و «تزكية النفس»، وطلب الكرامات و«المدد» من الأولياء الصالحين، إضافة إلى إعطاء شيخ الطريقة منزلة مركزية في طقوسهم.

أولًا: الإسلام الصوفي

ينتشر الإسلام الصوفي في سورية في الريف والمدن الكبرى على حدٍ سواء، وهو قادم من الشكل الأكثر انتشارًا للتدين أيام السلطنة العثمانية التي بقيت تحكم سورية حتى عام 1918. بعد الاستقلال بقيت الجماعات الصوفية في سورية خارج سيطرة الدولة المباشرة، واحتفظت لنفسها بنوع من الاستقلالية، ولا سيما الاستقلالية المالية. القاعدة العامة التي عمل على أساسها مشايخ الطرق الصوفية في سورية هي التركيز على الجانب الروحي للمسلم، واتخاذ «حلقات الذِكر» شكلًا من أشكال التقرب إلى الله، وذلك بعيدًا عن اتخاذ أي مواقف سياسية مباشرة أو غير مباشرة من الوضع السياسي والحاكم.

بقيت علاقة الغالبية العظمى من الجماعات الصوفية مع النظام الأسدي علاقات «عادية «، يمارسون طرقهم وطقوسهم وشعائرهم الدينية بحرية تامة في جوامعهم وزواياهم، والنظام من طرفه لا يتدخل في شؤونهم، ما داموا لا يتعاطون الشأن السياسي العام، ولا يطلبون من مريديهم سوى الاهتمام بالروحانيات والزهد فقط.

بعدما تمكن النظام الأسدي من هزيمة جماعة الإخوان المسلمين في بداية الثمانينيات اتبع سياسة استيعابية تجاه الجماعات الصوفية على الرغم من سياساته العلمانية المتطرفة. أدرك حافظ الأسد بعد عقد الثمانينيات أنه يمكن الاستفادة من هذه الجماعات نظرًا إلى تاريخها الطويل في التكيف مع النظم الاستبدادية منذ مئات السنين. ولذلك نجد أن النظام فضّل أن تُظهِر تلك الجماعات ولاءها له بشكل واضح، حيث أخذت تنتشر بشكل متزايد الأدعية والأغاني الدينية التي تعلي من شأن «رئيس الجمهورية» وتدعو له بالتوفيق. مثلما أخذت تلك الجماعات تشارك بفعالية باحتفالات تجديد «البيعة «، أي الاستفتاء على رئيس الجمهورية. أما الشعار الأشهر الذي رفعته بعض الجماعات الصوفية في مناسبات تجديد البيعة منذ التسعينيات فهو: «طلبنا من الله المدد، فأرسل لنا حافظ الأسد»

ما يميز الطرق الصوفية في سورية أنها خففت كثيرًا من الطقوس التي تعتمد على الضرب بالسيف، والمشي على الجمر، والتهويل من كرامات الشيوخ، وأخذت طابعًا معتدلً يعتمد اعتمادًا أساسًا على الفقه السني، على الرغم من استمرار مثل تلك الطقوس في بعض الأرياف. الأمر الآخر الذي لا بد من أخذه بالحسبان أن تراجع

منزلة الطرق الصوفية منذ أيام الانتداب الفرنسي[9] قابله من جهة ثانية زيادة في عدد الدعاة، وتوسع نطاق تأثيرهم خاصة بعد ظهور وسائل الإعلام التقليدية، ثم ظهور وسائل التواصل الاجتماعي.

في الأحوال كلها، فإن ما يهم النظام الأسدي من هذه الطرق وعالمها الذي يحتوي القليل من الأسرار والغرائبيات والكثير من الرغبة في الوجاهة والانتشار، أمرين أساسيين:

1. الانفصال عن الواقع الاجتماعي: ذلك أن العالم الداخلي الذي تنشئه هذه الطرق لمريديها عالم يتمركز حول كيفية حصول المريد على « الطريقة « من الشيخ، والقيام بكل الطقوس والأعمال والأذكار التي تجعل المريد حاصلًا على الطريقة، بل يستطيع منحها للآخرين في مراحل لاحقة. هكذا يبتعد المريد شيئًا فشيئًا عن عالم الواقع المعيش بتعقيداته كلها، لتصبح روحه وعقله ومشاعره معلقة بالطريقة وواجباته تجاهها. وما حلقات الذكر التي تعتمد عليها غالبية الطرق سوى نوع من تدريب المريد على التأمل في الذات الإلهية، ونسيان كل ما يحيط به (في كثير من الأحيان يغيب المريد عن الوعي). وهذا يتطلب تدريب المريد على « تزكية النفس» واتباع «الصحبة الصالحة». هكذا يردد المتصوفة في زواياهم وكتيباتهم أن مقاصدهم تتمركز على: « تقوى الله في السر والعلانية، واتباع السنة في الأقوال والأفعال، والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار، والرضا عن الله في القليل والكثير، والرجوع إلى الله في السراء والضراء «[10]، إضافة إلى التقوى والورع والاستقامة والقناعة والصبر والشكر والتفويض وحسن الخلق وتعظيم النِعم، و«اتهام النفس في كل شيء للخروج من الهوى"، و«التوبة من جميع المحرّمات والمكروهات»[11].
2. تغييب الشأن السياسي اليومي والمباشر عن وعي الناس: وهذه نقطة مرتبطة بالنقطة السابقة. ذلك أن القضية الأساسية التي يدور عقل الصوفي وتفكيره ومشاعره حولها هي تقوية العلاقة مع الله تعالى، وإغراق تفكيره في نوع من القدرية المطلقة. وهذا يعني من جملة ما يعني إهمال الشأن السياسي بشكل تام، والابتعاد عنه قدر الإمكان، لأن عالم السياسة عالم دنيوي ومرتبط بالماديات والعلاقة مع البشر، وعلى ذلك لا يعود لعوالم الماديات والدنيويات وقضايا السياسة والمجتمع والاقتصاد والفساد أي قيمة بالنسبة إلى الصوفي.

المعادلة التي تقبع خلف طريقة تعاطي غالبية مشايخ الطرق الصوفية مع النظام هي معادلة «الغاية تبرر الوسيلة»، بمعنى أنه إذا كانت غايتنا نشر الإسلام الوسطي وتعاليمه السمحة، فلا مانع من التعاون مع النظام، بشكل فعال وإيجابي، إذا كان سيمنحنا الساحة الدينية في سورية. وهذه هي خلاصة موقف أحمد كفتارو الذي «أسس موقفه على أساس أن العين ما تقاوم مخرز، وأن الحكمة فعل ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي على الشكل الذي ينبغي، وأن علينا أن نداري هذا النظام ما استطعنا لحماية العمل الإسلامي الذي نؤسسه، ولا بد من دفع زكاة الثناء والمديح للرئيس حتى تسّلم المؤسسة» [12].

(9) يوهانس رايسنر، الحركات الإسلامية في سورية، محمد إبراهيم الأتاسي (مترجمًا)، (لندن: رياض الريس للكتب والنشر، 2005)، ص 105.

(10) أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، المقاصد، برهان محمد بدر الدين الشاعر (محققًا)، (دمسق: مكتبة الغزالي، 2001)، ص 56.

(11) المرجع نفسه، ص 57- 58.

(12) محمد حبش، «المؤسسة الدينية في سورية ومازق المفتي»، الموقع الرسمي لمحمد حبش، 18 - 8 – 2016. https://mohammadhabash.org/2016/08/28/

النظام الأسدي من جهته أيضًا بادلهم معادلة الغاية تبرر الوسيلة من حيث إنه يمكن أن يمنحهم المجال الديني العام إذا لم تكن لديهم أي رغبة في منافسته على السلطة، بل أكثر من ذلك، استعدادهم لتقديم كل الدعم له. لا سيما أنه يمكن استخدامهم ضد جماعات الإسلام السياسي، ولا سيما السلفيين والإخوان المسلمين. بالنسبة إلى النظام هذا يعني أنه يمكن تنحية العلمانية قليلًا إذا كانت الفوائد أكبر. وهنا يجب أن نتذكر ما يذهب إليه كثير من الدراسين الغربيين لنظام الأسد إلى أن هذه «المرونة» التي يبديها النظام الأسدي في التعامل مع «المجموعات الاجتماعية الشعبوية» في مختلف الأوضاع تعد واحدة من أهم أسباب استمراره في السلطة[13].

لا توجد وصفة محددة للطريقة التي يستوعب بها النظام الأسدي جماعات الطرق الصوفية، وإنما تعددت الوسائل والتكتيكات بحسب كل حالة، ومدى حجم الجماعة وطموح شيوخها، إضافة إلى درجة تجاوبها وتعاونها مع أجهزة النظام. فهناك جماعات بقيت محافظة على استقلاليتها النسبية وحيادها السياسي التام، أو ما يعرف في سورية بمصطلح « الحياد الإيجابي» الذي يعني أن الشخص أو الجهة لا تنظم نفسها في أحزاب النظام ومنظومة محسوبياته، وتكتفي بموقف حيادي تجاهه، وتمتنع عن معاداته، وتتخذ منه موقف المسالمة. هذا النموذج من العلاقة يكاد يكون هو الشكل الأكثر انتشارً بين الطرق الصوفية والنظام الأسدي. ويعد وضع غالبية الطرق الصوفية قبل الثورة نموذجًا لهذ الموقف.

بعد اندلاع الثورة توزعت مواقف شيوخ الصوفية بين معارض ومؤيد ومحايد.

مع اندلاع الثورة جيّش النظام عددًا كبيرًا من شيوخ الطرق الصوفية أو الشيوخ المحسوبين عليها للتشكيك في مواقف المتظاهرين، واتهامهم بالعمالة والخيانة، وتقديم تصور متكامل عن الثورة بأنها مؤامرة خارجية أو تقاد من قبل إرهابيين. الواقفون إلى جانب النظام رفعوا الحجة الأشعرية الشهيرة بعدم الخروج على الحاكم حتى لو كان ظالمًا لأن ذلك يؤدي إلى الفتنة. ويعد كل من البوطي وأحمد حسون من صقور هذا الموقف. السائرون في هذا الموقف غالبيتهم ممن لديه طموحات كبيرة، ومستعد أن يقدم خدماته للحصول على منزلة أو ميزات أو تسهيلات يعتقد أنها تخدم الطريقة وتوسيع دائرة انتشارها. ولعل خير مثال على ذلك، التعاون الذي توثقت عراه بين جماعة أحمد كفتارو وحافظ الأسد، منذ سبعينيات القرن المنصرم (يطلق عليها بعضهم الكفتاروية تعظيمًا لمكانة أحمد كفتارو والخدمات التي قدمها للجماعة في دمشق).

هكذا توسعت بشكل كبير مجامع جامعية وكليات ومراكز دراسات إسلامية، يشرف عليها عدد من شيوخ الطرق الصوفية، قبل الثورة وبعدها. ويعد «مجمع أبي النور لإسلامي» الذي أسسه أحمد كفتارو عام 1971، ثم وسعه بشكل كبير عام 1995، ليتحول بعد ذلك إلى مجمع الشيخ أحمد كفتارو الذي يضم كليات ومسجدًا ومؤسسات تعليمية ودعوية وخيرية، خير مثال على ذلك التعاون. يذكر أن غالبية المساجد التي تتبع لمتصوفة ودعاة سُمح لها بالتوسع وزيادة مقدراتها، وأخذ دورها الدعوي والخيري يزداد بشكل كبير منذ ثمانينيات القرن المنصرم، وهذا الأمر ينطبق على المدرسة الكلتاوية في حلب، ومعهد الخزنوية في الحسكة وغيرهما.

كان النظام يستخدم سياسة الجزرة (لمن يرغب)، ولم يلجأ إلى العصا في تعامله مع الطبقات الدينية في

الدكتور-محمد-حبش-المؤسسة-الدينية-في-سو/

(13) ستيفن هيدمان، التسلطية في سورية: صراع المجتمع والدولة، عباس عباس (مترجمًا)، رضوان زيادة (مراجعًا)، (لندن: رياض الريس للكتب والنشر، 2011)، 394.

سورية، وذلك لأنه تمتع بفائض قوة بعد الثمانينيات، بعكس تلك الطبقات الدينية التي أخذت بالتآكل شيئًا فشيئًا بسبب انتشار العلم والتكنولوجيا، وتمكن الناس معظمهم من تعليم أنفسهم دينيًا بشكل ذاتي عن طريق القراءة ووسائل التكنولوجيا. ولذلك نجد أن محمد كريم راجحة (شيخ قراء دمشق وأحد معارضي النظام) يؤكد في معرض حديثه عن موقف البوطي من النظام والثورة السورية: "لم يعرف عن النظام منذ أيام حافظ الأسد أنه ضغط على أحد (يقصد الطبقة الدينية)..، نحن الذين نركض وراءهم ونلهث» [14].

غير أن هناك موقف من تصادموا مع النظام، حيث دخل شيوخ بعض الطرق الصوفية في صراعات معه. أبرز من يمثل هذا الموقف قبل الثورة محمد معشوق الخزنوي، أما أهم من يمثل هذا الموقف المناوئ للنظام بعد الثورة هناك آل الرفاعي وعبد الكريم راجح.

قتل محمد معشوق الخزنوي (ابن عز الدين الخزنوي شيخ الطريقة الخزنوية النقشبندية في سورية) عام 2005، بعد مواقفه الناقدة بشدة للنظام بسبب تعاطي الأخير السلبي مع أحداث القامشلي عام 2004، التي قتل فيها عشرات السوريين الأكراد، إضافة إلى خطابه العام الذي يركز على أن «الحقوق تؤخذ ولا تعطى»، وأن الطغيان سبب كل بلاء [15]. تعد عملية قتل محمد معشوق الخزنوي، بعد اختطافه من داخل دمشق، واحدة من أشهر الجرائم السياسية داخل سورية خلال العقد الأول من حكم الأسد الابن.

الشكل الذي أخذ مشايخ الطرق الصوفية المعارضون ينتقدون من خلاله النظام، بعد الثورة، هو: «النصح»، «الشكوى»، «التنبيه» و«التحذير». وحاولت تلك الجماعات، تحت عنوان «نزع فتيل الفتنة»، أن تخفف من الطابع العنيف والصدامي الذي أخذت تنزلق إليه الثورة بعد اندلاعها بأشهر عدة. ففي خطبة يوم الجمعة 7/1 2011 انتقد أسامة الرفاعي (أحد شيوخ الطريقة الرفاعية في دمشق) سلوك بعض مؤيدي النظام الذين «يسجدون على صور الرئيس» في الشوارع، مطالبًا بالكف عن هذه التصرفات المستفزة للمسلمين، مؤكدًا أنها تسيء حتى للرئيس نفسه، كما نوه إلى أن السوريين يمكن أن يتساهلوا في كل شيء مع النظام إذا لم يمس هذا النظام بمسألة «التوحيد» [16]. غير أن سارية الرفاعي (أحد مشايخ الطريقة الرفاعية وخطيب مسجد زيد بن ثابت الأنصاري في حي باب سريجة) أعلن عن صدمته من "إجرام" الجيش السوري، واستخدامه الأسلحة الثقيلة ضد الشعب السوري، مثلما حذر «القيادة السياسية» بضرورة أن تسحب الجيش من الشوارع، وتفرج عن المعتقلين، وتكف عن التصعيد، وأن «تتقي الله بدماء السوريين»، داعيًا إلى كثرة الدعاء إلى الله تعالى حتى يرفع البلاء عن هذا البلد[17].

تعد خطب أسامة الرفاعي بمنزلة رد غير مباشر على خُطب البوطي، وتقديم رواية عن الثورة وأسبابها معاكسة لرواية البوطي، التي وصفت الثورة بأنها «مؤامرة وفتنة «. فقد قدم سارية الرفاعي في خطبته بتاريخ

(14) https://www.youtube.com/watch?v=_Z5CHR-ieDs

(15) اغتيل محمد معشوق الخزنوي غام 2005 في سورية بعد خطفه من داخل دمشق، وكانت هناك آثار تعذيب على جسده. بث التلفزيون السوري اعترافات لأشخاص قال إنهم قتلوه بعد أن دفعت لهم أموال. غير أن كثيرًا من الجهات اتهمت النظام السوري بتدبير قتله. حول ذلك راجع:

https://www.youtube.com/watch?v=3C040Xk9t6I

https://pydrojava.net/arabic/archives/21757

(16) https://www.youtube.com/watch?v=3XSsIBeYfg0

(17) https://www.youtube.com/watch?v=OGLotcy6mp4

25 مارس/ آذار 2011 تصورًا متكاملًا للثورة، يقوم على أن الثورة في سورية قامت للمطالبة بالحرية واحتجاجًا على الفساد، وطالب بإلغاء قانون الطوارئ والكف عن الممارسات الأمنية ضد المتظاهرين، مشددًا على أنه يقدم فقط نصيحة أخلاقية لرئيس الجمهورية[18]. في النهاية غادر أغلب شيوخ الطريقة الرفاعية سورية خوفًا من بطش النظام بهم، مثلما أسهم عدد منهم بتأسيس «المجلس الإسلامي السوري»، وهو مجلس يضم عددًا كبيرًا من دعاة ومتصوفة وفقهاء سوريين غادروا البلاد بعد اندلاع الثورة.

وعلى الرغم من ضم «المجلس الإسلامي السوري» المعارض أسماء وشخصيات دعوية وصوفية وفقهية كبيرة، إلا أنه لم يكن له تأثير كبير في المعارضين السوريين. تسعى رسالة المجلس بحسب بيان التأسيس إلى«ترسيخ المشروع الإسلامي وتفعيل دور المؤسسة الدينية في المجتمع السوري»، أما رؤيته فتقوم على ضرورة «تمكين المرجعية الإسلامية للشعب السوري من الاضطلاع بدورها الريادي في المجتمع»[19]. ويبدو أن كلًا من هذه الرسالة وتلك الرؤية هما ما أفقداه القدرة على التأثير، لأن السوريين المنخرطين في ثورتهم لا تشغل بالهم سوى قضايا الحريات والحقوق والوصول لحكم رشيد يحترم حياة السوريين، ويؤمن لهم كرامتهم وحقوقهم، ويستمد سلطته منهم، ولم يعد يعنيهم كثيرًا مصدر أيديولوجية الحكم، سواء كان ذلك المصدر قوميًا أم دينيًا. وعلى الرغم من أن بعض القضايا التي شكلت موضوع فتاوى المجلس تتعلق بحياة السوريين ومعيشتهم ومشكلاتهم اليومية إلا أن هناك عددًا كبيرًا من تلك القضايا التي شكلت موضوعًا لفتاوى المجلس المذكور، بدت غريبة بعض الشيء عنٍ هموم السوريين وأولوياتهم، الأمر الذي شكل مفارقة بالغة الأهمية، ونقطة افتراق كبيرة بين جموع السوريين الذين يتعرضون لكل أشكال القتل والتدمير والتهجير ويعانون أوضاعًا اقتصادية وحقوقية وإنسانية قاسية؛ والفتاوي المنشغلة مثلًا بـ «حكم بناء المسجد فوق محلات تجارية»، «حكم الزواج من أهل الكتاب في بلاد غير المسلمين»، «التقاضي لمحاكم غير إسلامية في قضايا الطلاق»، «اجتماع صلاة العيد مع الجمعة»، «فتوى التعامل مع الخوارج الفارين من أرض المعارك»، « فتوى حول حج النافلة»، «فتوى حول ترائي هلال شهر رمضان المبارك»[20].

هناك موقف ثالث للمتصوفة غير المواقف المعارضة والمؤيدة، وهو موقف المحايدين من الثورة الذين حاولوا الإمساك بالعصا من الوسط. مع العلم أن المواقف هنا لا يمكن أن تقاس بالمسطرة، لأن هناك من يقف على الحياد بقصد التأييد، وهناك أيضًا من يقف على الحياد بقصد المعارضة. أصدر الشيخ محمود الحوت (شيخ جامع الكلتاوية وأحد كبار مشايخ الطرق الصوفية في حلب) في بداية عام 2012 بيانًا رفض من خلاله «التدخل الخارجي»، ودعا علماء سورية إلى «مشروع تحكيم» بين الحكومة والمعارضة [21] . مثلما تحدث عن لقاء له مع بشار الأسد، قال إنه دعاه فيه إلى إيجاد حل للأزمة السورية، وأنه بذلك يكون قد أسقط «الواجب الشرعي» عن كل علماء ومشايخ مدرسة الكلتاوية، داعيًا إياهم إلى عدم التدخل في الوضع السياسي أو التشجيع على التظاهر حتى لا يرتد ذلك سلبًا على المدرسة ذات التاريخ الكبير[22]. غير أن الشيخ الحوت غادر سورية بعد ذلك، مثلما

(18) جواد قرشي، « خطباء علماء السنة الدمشقيين خلال ثورة 2011»، ترجمة أمينة الجميل، مراصد، عدد أبريل، (2018)، ص 20- 23.

(19) راجع الموقع الرسمي للمجلس: https://sy-sic.com/

(20) حول هذه الفتاوي راجع موقع « المجلس الإسلامي السوري»: https://sy-sic.com/?cat=49

(21) https//:www.youtube.com/watch?v=dkmTPtar1Nk

(22) https//:www.youtube.com/watch?v=dkmTPtar1Nk

سيطرت فصائل المعارضة على مدرسته، ولم يعد شيوخ الكلتاوية إلى مدرستهم العريقة إلا في عام 2016 عندما استرجع النظام حلب القديمة.

بعد استرجاع النظام حلب القديمة عاد محمود الحوت إلى حلب (قيل إنه عاد بوساطة إيرانية، ولا سيما أن علاقة مصاهرة تربطه بأحمد حسون مفتي سورية) غير أنه لم يستقر في حلب، وأخذ يتردد على تركيا، حيث يوجد بعض مريديه هناك.

ثانيًا: الإسلام الدعوي

يتداور دعاة سورية المعاصرون على تقديم تفسيرات لتأخر أحوال المسلمين في سورية، بالعودة إلى الفساد الأخلاقي أو التربوي، أو عدم الالتزام بتعاليم الشريعة الإسلامية، أو عدم دفعه الزكاة، أو تراجع صلة الأرحام بين المسلمين.. إلخ.

وعلى العموم يمكن تلخيص مبادئ الإسلام الدعوي بالنقاط الآتية:

1. مشكلة المسلمين نفسية أو أخلاقية وليست سياسية. هكذا يكرر عبد الكريم بكار (داعية معارض للنظام السوري) في مقاربته سؤال النهضة المعروف "لماذا تقدم الغرب وتأخر المسلمين؟"، يكرر القول: "الجواب عن كل هذا يكمن في طريقة التربية في الأسرة"[23]، ويفرد عشرات الكتب والخطب والمحاضرات لهذه الفكرة. أما خضر شحرور (داعية مؤيد للنظام) فيؤكد بما لا يقبل الشك أن «الغضب سبب كل المشكلات التي تحدث للناس». طبعًا هناك عشرات التفسيرات التي ترجع أوضاع المسلمين الحالية إلى مفاهيم أخلاقية ونفسية تتعلق بتراجع الصدق، وعدم دفع الزكاة، تراجع صلة الأرحام، الطمع والجشع، تغافل السوريين عن فعل الخير، الرضا بالمقسوم، والقائمة تطول حتى يمكن القول إن لكل داعية سببه الخاص.
2. نظرية المؤامرة الغربية: يكاد يجمع الدعاة على أن هناك مؤامرة من قبل الغرب «الصليبي والمتعاون مع الصهيونية» على المسلمين، وأنه يتآمر على المسلمين لأنه يخاف من انتشار الإسلام في بلدان العالم المختلفة. هكذا يذهب مأمون رحمة، وهو أحد تلاميذ البوطي ومعروف بفتواه التي تُجيز الحج على جبل قاسيون، إلى وجود «غزو جنسي» للأمة الإسلامية قادم من الغرب، ومكتوب في "بروتكولات الصهاينة"[24]. ويشارك محمد راتب النابلسي بهذه الفكرة، ويؤكد أن هناك أكثر من 23 مليون موقع و400 تلفزيون ينشر الجنس، ويروج لـ «تبادل الزوجات والشذوذ» موجه لتخريب فطرة البشر، وعلى الحكومات الإسلامية التنبه لذلك[25]. وهنا أيضًا يتناوب الدعاة على التطبيل لنظرية المؤامرة، وشرح أشكالها الكثيرة.
3. المشكلة في الناس أنفسهم؛ أي إن الناس، وليست الأنظمة والحكام، هم المسؤولون

(23) http://www.drbakkar.com/ راجع أيضا كتاب: عبد الكريم بكار، المسلمون بين التحدي والمواجهة: حول التربية والتعليم، (دمشق: دار القلم، 2011).

(24) https://video.aksalser.com/9fxxwe6v0425

(25) https://www.echoroukonline.com

عن تراجع أوضاعهم، وما يعانونه من ظلم وفقر وتراجع في الأخلاق. ولذلك فإن أكثر حديث ينتشر بين هؤلاء الدعاة حديث «ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا يرفع إلا بتوبة»، على الرغم من أنه حديث غير صحيح. هكذا وبكل بساطة يطلع النظام الأسدي، بفساده وظلمه ونهبه المنظم للسوريين، من المشكلة مثل الشعرة من العجين.

4. الهدف الأخروي من الحياة؛ وهي الفكرة التي تروق كثيرًا للنظام الأسدي. ذلك أن النظام يستفيد كثيرًا من تصورهم «للهدف من الحياة»، من حيث هو هدف يقدم الحياة الآخرة على الحياة الدنيا، ويجعل من الثانية مجرد استعداد للأولى. هكذا حسبة تسهّل على النظام الاستيلاء على الحياة الدنيا، وجعل الناس يتهاونون كثيرًا في حقوقهم، ما دامت الدنيا كلها على بعضها مجرد محطة عبور. طبعًا تحويل السوريين جميعهم إلى زهّاد سيكون يومًا عظيمًا بالنسبة إلى النظام السوري.

5. تصورهم للخلاص فردي؛ النظرية الخامسة من نظريات التديّن الدعوي التي يستفيد منها النظام هي نظرية «الخلاص»، لأن الخلاص عند الإسلام الدعوي هو خلاصٌ فردي، ذلك أن أعمال الشخص وعباداته هي التي تحدد وضعه في النهاية. وهذه النظرية لا تعول على العمل الجماعي، ومن ثم ليس هناك داع لكي ينظم الناس نفسهم في أحزاب، ولا حتى أن يتعاطوا أي شكل من أشكال السياسة، ففعل الخير ودخول الجنة لا يحتاجان إلى هكذا أمور.

ولعل هذا ما يفسر أن النظام الأسدي، وعلى الرغم من ادعائه للعلمانية كأيديولوجية عامة إلا أنه عمد إلى تشجيع مؤسسات الإسلام الدعوي، حتى إنه يمكن القول إن غالبية تلك المؤسسات، وبسبب رضا النظام عنها، وإفساحه المجال لمتنفذيها، دخلت عالم الفساد والمحسوبيات من أوسع أبوابه، وإن نفوذ بعض الدعاة الموالين يكاد يوازي نفوذ ضباط القصر الجمهوري، كما يمكن ملاحظة أن أعداد رجال الدين في مجلس الشعب السوري قد زادت في زمن حكم آل الأسد.

أما بالنسبة إلى مواقف هؤلاء من الثورة السورية، فإنه على الرغم من انقسام رموز التدين الدعوي في سورية بين معارض ومؤيد وحيادي إلا أن اللافت للنظر هو تجاهل غالبيتهم الأسبابَ السياسية المباشرة للثورة. المؤيدون للثورة يلحون على الأسباب الدينية والتربوية والأخلاقية أولًا، وعلى نظرية المؤامرة ثانيًا. أما الحياديون فيتحدثون عن الأسباب الدينية والأخلاقية، وعلى نظرية المؤامرة بشكل متساوي، أما معارضو الثورة فيركزون على نظرية المؤامرة أولًا، وعلى الأسباب الدينية والأخلاقية ثانيًا. أما الأمر اللافت للانتباه في هذه التفسيرات هو أنها تتشابه، وأن الفرق في الأولويات فقط.

يرتكز خطاب محمد راتب النابلسي (داعية معارض للنظام خرج من سورية بعد اندلاع الثورة، وأحد مؤسسي المجلس الإسلامي السوري) حول الثورة السورية على أربع نقاط أساسية:

أ. إن مصائب الحياة الدنيا لا تعد من «الكوارث»، لأن الدنيا مجرد «صفر» في حسابات المتفكرين. وكثيرًا ما ينسى السوريون أن «الإنسان عندما يرى مكانه في الجنة يقول: لم أر شرًا قط".

ب. علّة وجودنا في الدينا هي "الابتلاء" استنادًا للآية الكريمة "هو الذي خلق الحياة والموت

ليبلوكم" (الملك،2). والبطولة بالنسبة إلى السوريين ليست ألا يصابوا في الابتلاء بل أن ينجحوا في الابتلاء، وأن نجاحهم يتمثل في أن يحّولوا المحن التي يمرون بها مناسبةً لكي يقوموا بـ«قفزة إلى الله»، وتحقيق تغير نوعي في العلاقة مع الله. فكل ما حصل في سورية «أراده الله"، وسمح به لـ«حكمة بالغة". وحكمة الله "مطلقة"، متعلقة بالخير "المطلق". حتى "الشر النسبي " موظف من أجل خير مطلق. طبعًا النابلسي هنا يجتزئ الآية الكريمة لكي تفيد فكرته بأن الثورة ابتلاء على الرغم من أن غالبية المفسرين يذهبون إلى غير تفسير النابلسي. النص الكامل للآية الكريمة هو: "الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ». ويفسر القرطبي الآية الكريمة بقوله: «معنى {ليبلوكم} ليعاملكم معاملة المختبر؛ أي ليبلو العبد بموت من يعز عليه ليبين صبره»، ويفسر الطبري كلمة «ليبلوكم» على النحو الآتي: " قُول: "لِيَخْتَبِركُمْ فَيَنْظُر أَيّكُمْ لَهُ أَيّهَا النَّاس أَطْوَع، وَإِلَى طَلَب رِضَاهُ أَسْرَع "[26]، كما ان غالبية التفسيرات تذهب هذا المنحى الذي يجعل من كلمة «ليختبركم» أي ليتحمل صبركم على الموت، وهذا يعني أنه ليس لتفسير النابلسي، بأن الثورة السورية ابتلاء، أي علاقة بالآية الكريمة.

ت. نجاح الظالم يومًا لا يعنى أن الظلم سيستمر طويلًا، وهذا ما تقوله الآية: «إنه لا يفلح الظالمون» (الأنعام 21)، ولا بد أن يقع حكم الله على الظالم لأن الله تعالى «يمهل ولا يهمل»، وعلى السوريين أن يعلموا أن دعوة المظلوم ستهلك الظالم، ولو بعد حين.

ث. على السوريين أن يتجنبوا ظلم بعضهم بعضًا حتى يرفع الله عنهم « ظلم الطغاة». فالمجتمع السوري مليء بالمظالم: البنات لا تورّث، التجار يستغلون الناس، المعلم يقصر بواجبه تجاه طلابه[27].

أما محمد حبش فيرفض قراءة الدمار والقتل اللذين يتعرض لهما السوريون على أنهما «بلاء» من الله، بل إنه يشن هجومًا قويًا على أصحاب هذا التفسير واصفًا إياهم بأنهم يقدمون « تبريرًا مجانيًا لجرائم المستبدين، مثلما أنهم تسببوا بموجة إلحاد لأنهم صوروا الأمور بطريقة مختلفة لسنن الله التي يمكن فهمها بالعلم والقوانين الوضعية»[28]. كان محمد حبش يعتقد (في عام 2011) أنه ليس أمام بشار الأسد سوى الاستجابة لمطالب السوريين الثائرين، غير أنه تفاجئ بعد ذلك بلجوئه إلى الخيار العسكري، وبكل قوة، وأنه قد يكون مهووسًا ببقائه في السلطة، بل بترتيب أمر الرئاسة في المستقبل لابنه حافظ بشار الأسد كما رتب والده الأمور له في عام 2000 [29]، ولذلك غادر سورية.

---

(26) راجع محرك البحث الخاص بتفسير القرآن الكريم:

http://www.alro7.net/ayaq.php?langg=arabic&aya=2&sourid=67

(27) كل الاقتباسات من كلام محمد راتب النابلسي في هذه الفقرة مأخوذة من الفيديو الآتي:

https//:www.youtube.com/watch?v=WHcAWhFxkSw

(28) محمد حبش، هل ما نحن فيه محض انتقام إلاهي؟، الموقع الرسمي للدكتور محمد حبش، 6-11-2016. https://mohammadhabash.org/2016/11/30/د-محمد-حبش-هل-ما-نحن-فيه-محض-انتقام-إلهي/

(29) محمد حبش، قصتي مع النظام، الموقع الرسمي للدكتور محمد حبش . https://mohammadhabash.org/2016/08/28/د-محمد-حبش-قصتي-مع-النظام/

أما الداعية جودت سعيد (داعية سوري لم يعرف له مواقف واضحة من الثورة السورية) فيجعل من اللاعنف والتسامح العنوان العريض لكل كتبه ومحاضراته، أما السبيل للتقدم والتحضر بالنسبة إلى السوريين والمسلمين عمومًا، فهو جعل العقل والعلم حاضرين في الحياة، والرجوع إلى القرآن للتفكر فيه، واستخراج الاكتشافات العلمية منه [30]. عندما يسأل سعيد عن الثورة السورية وماذا يمكن للسوريين أن يفعلوا تجاه ما يوجهونه من قتل وتدمر واسع لمدنهم يجيب بأنه يجب أولًا إصلاح الأمم المتحدة لأنها لا تؤمن إلا بالقوة مثلها في ذلك مثل فرعون. وفي سؤال عن ماذا يفعل السوريون تجاه العنف الذي يتعرضون له من قبل النظام قال: لا يجوز لهم حتى « الدفاع عن النفس» لأن الرسول والصحابة لم يدافعوا عن أنفسهم تجاه العنف الذي تعرضوا له في بداية الدعوة. كما وصف المتظاهرين بـ« الخوارج» لأنهم لم يتفاعلوا مع دعواته في اللاعنف [31].

أما الشيخ فتحي صافي (أحد مشايخ دمشق المؤيدين للنظام) فيدعو عناصر الجيش السوري للصبر في أداء واجباتهم حتى لو تجاوزت مدة الخدمة العسكرية ثماني سنوات. وفي أجابته عن سؤال "ما الحل في ظل هذه الأوضاع الصعبة؟" يقول الشيخ الحل بأيدينا «نرجع إلى الله»، ونصبح جيدين بعضنا مع بعض، عندها سيرفع الله هذه الغمة عن كاهلنا، مستشهدًا بالآية الكريمة «وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا»(الجن، 16) [32]. ويتساءل صافي "كيف سيأتي فرج الله وقد أزداد السفور والسرقة والنصب والاحتيال بين الناس؟»، وفي جوابه عن سؤال تقدم الغرب (والعدو الإسرائيلي)، وتراجعنا، يرجع الأمر إلى «مخالفتنا للشريعة»، (وكأن الغرب ملتزم بالشريعة). ويبقى الصبر في النهاية هو المنهج الذي على الجميع الامتثال له، لأنه هو الذي يقدم الحلول لـ«الأزمة» التي يعيشها السوريين هذه الأيام، ولذلك نجد الشيخ صافي يسرد عشرات القصص عن أنبياء صبروا في محنهم إلى أن أتى الفرج من الله. ويضيف الصافي أن ما يحصل في سورية اليوم هو مؤامرة أميركية روسية لتدمير سورية عبر الاستمرار في دعم أطراف النزاع إلى ما لا نهاية [33].

ثالثًا: باراديم التدين الدعوي

يعد تديّن الدعاة -بشقيه الصوفي والدعوي- من أبرز أشكال التديّن التي لا تعول كثيرًا على الإصلاح السياسي للمجتمع، لأنه يعتقد أن مشكلة المجتمعات الإسلامية المعاصرة عمومًا مشكلات ليست سياسية بل هي في الأصل مشكلات أخلاقية أو دينية، تتعلق بمدى درجة التزام المسلمين بتعاليم دينهم. فلسفة المتصوفة أيضًا تجعل المجال السياسي للمجتمع مجال لا مفكر فيه، فالخلاص عند جماعة الطرق الصوفية يكون بإصلاح «النفس» وتدريبها على تحمل مشاق «الزهد»، والتمتع بنعمه، وتعليمها كيف تفوز بنوع من العلاقة المميزة مع الله تعالى عن طريق «الرابطة» التي تنشأ بين «المريد» و«الشيخ».

ولذلك فإن البراديم العام لهذا الشكل من التديّن باراديم ديني متكامل، بمعنى أن علاقة المسلم بتعاليم دينه وتمثله الأخلاقَ الدينية والتزامه بالعبادات هي المجال العام الذي يفكر فيه هؤلاء. حتى إنهم يصلون إلى ما يمكن أن

(30) جودت سعيد، أقرأ وربك الاكرم، (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1998)، ص ص255- 256.

(31) راجع المقابلة كاملة على تلفزيون أورينت: https://www.youtube.com/watch?v=no4tGMEKJs8

(32) https://www.youtube.com/watch?v=ITA3HUfcse-

(33) https://www.youtube.com/watch?v=UQE2wdDljnE

نسميه بـ«العولمة الدينية الإسلامية»، بمعنى أن مشكلا المسلم في سورية ومصر وإندونيسيا والسودان والبرازيل وفرنسا والعراق وبقاع الأرض كلها واحدة، أنها تعود إلى عدم التزام المسلم بتعاليم دينه وأخلاقه. مثلما هي في كل الأزمنة والمراحل التاريخية أيضًا واحدة، فمشكلات المسلم في العصور العباسية والسلطنة العثمانية ومرحلة الاحتلال الأوروبي ومرحلة الاستقلال هي واحدة أيضًا، مثلما هي واحدة في الدول الإسلامية المعاصرة، سواءً كانت هذه الدول جمهورية أم ملكية، علمانية أم دينية، ديمقراطية أم استبدادية. درجة التزام المسلم بتعاليم دينه سبب التراجع الحضاري للمسلمين، مثلما هي أيضًا مفتاح الحلول كلها.

هكذا يصبح النظام السوري، مثلًا، بفساده وطغيانه، وكبته الحريات، وطائفيته، واستيلائه على مقدرات البلد، وحكم آل الأسد سورية بقبضة من فولاذ، وانتهاكهم المنظم للدولة وقوانينها، وإشادتهم السجون سيئة الصيت، وقمع أجهزة المخابرات السوريين حوالى نصف قرن، ومئات الألوف من الضحايا الذين قضوا منذ اندلاع الثورة، والملايين الذين هجروا وشردوا، تصبح أمور لا مفكر فيها، لأنها قضايا ليس لها أي دور في ما آلت إليه الأوضاع العامة، وهي في أحسن الأحوال «ابتلاء» أو «عقوبة ألهيه» أو «إشارات إليهه» تنبه المسلمين في سورية إلى أنهم مقصرين تجاه دينهم، ويبتعدون عن تعاليمه السمحة.

يضيّع هؤلاء المسلم السوري في متاهات أخلاقية ونفسية تجعله شبه منفصل عن واقعه. من أمثلة هذه المتاهات هناك الإلحاح على قضايا: «مشكلات الاختلاط»، «الربا والمصارف الإسلامية»، «طريقة تحديد هلال شهر رمضان»، «عذاب القبر»، «أسباب نقصان الرزق»، «الانفلات الأخلاقي بين أوساط الشباب»، «أخلاق المراء المسلمة»، «كيفية التخلص من الحزن»، «جواز الاحتفال بعيد رأس السنة الميلادية ومعايدة المسيحيين»، «هل الكرامات مستمرة بعد نهاية عصر الأنبياء؟»، «الرقى الشرعية» ، «بر الوالدين»، «أداء الأمانات»، «الصدق في المعاملة» ، «مقاومة الغرائز»، «تصوير يوم الدخول إلى القبر على طريقة الأفلام الهندية»، والموضوع المتجدد «شروط الإقامة في بلاد غير المسلمين»، وهذا الموضوع الأخير تحول إلى «موضوع الموسم»، كتب وحاضر فيه أحمد حسون، ومحمد حبش، ومحمد راتب النابلسي، ومأمون المبيض وآخرون.

ويبدو أن حرص هؤلاء على إبعاد الناس عن السياسة المباشرة، وإغراقهم في قضايا روحية ونفسية ذات مضمون ديني، هو ما سمح للنظام السوري بالاستفادة منهم بطرق غير مباشرة، سيما أن إقصاء السوريين عن عالم السياسة يعد من الأهداف الإستراتيجية التي عمل النظام عليها طويلًا. هذا يعني أن باراديم التديّن الدعوي يشكل في النهاية جزءًا من استراتيجية النظام، على الرغم من أن لكل طرف حساباته المختلفة في النهاية. وهو الأمر الذي تنبه له النظام السوري ومكنه من توظيف هذا النوع من التديّن إلى أقصى الحدود الممكنة.

المرحلة الأولى من انفتاح النظام الأسدي على هذا الشكل من التدين كانت عقد الثمانينيات بعد هزيمته الإخوان المسلمين، أما مع بداية الثورة فقد وصل ذلك الانفتاح حده الأقصى، حتى إن النظام افتتح قناة تلفزيونية دينية (نور الشام) بعيد اندلاع الثورة السورية عام 2011، مثلما أصدر في أبريل 2011 مرسوم افتتاح المجمع الجامعي الضخم «معهد الشام العالي» الذي ضم ثلاث مجمعات جامعية هي: «مجمع الفتح الإسلامي»، «مجمع الشيخ أحمد كفتارو» و«مجمع السيدة رقية»، وهي مجمعات جامعية وتربوية تضم أكثر من عشرة كليات تركز على الشريعة وأصول الدين والدراسات الإسلامية. وأخيرًا وليس آخرًا صدور القانون رقم 31 عام 2018 لتنظيم عمل وزارة الأوقاف ومؤسسة الإفتاء، والذي أثار زوبعة نقدية واسعة بين أوساط المؤيدين في الداخل

تهم النظام بأنه أصبح يعتمد على الطبقات الدينية التقليدية، ويمنحها صلاحيات واسعة. أو بحسب محمد حبش (داعية معارض للنظام) هو قانون له هدف مزدوج:« يعيد هيمنة رجال الدين على الحياة العامة وهيمنة السلطة على رجال الدين» [34]، وهو أمر مستغرب من نظام بقي لمدة طويلة يتبنى نوعًا من «العلمانية العدوانية»، زاودت حتى على العلمانية الفرنسية.

رابعًا: لماذا اختلفت المواقف من الثورة السورية؟

الغريب في أمر شيوخ التدين الدعوي أنه وعلى الرغم من اختلاف مواقفهم من الثورة، إلا أن ما يجمع بينهم أكثر بكثير من الذي يفرق بينهم. فعلى الرغم من تباين مواقفهم من الثورة السورية إلا أن تعاليمهم تجاه السياسة تكاد تكون واحدة، ذلك أن الشأن السياسي وأمور الحكم وطريقة إدارة البلاد ليست من أولوياتهم، ولا تشكل حجر الزاوية سواءً في عملهم الدعوي، أم في خطبهم الرنانة و"فيديوهاتهم" التي تنتشر انتشار النار في الهشيم. فالسياسة معطلة بشكل شبه كلّي، بمعنى أنها ليست هي السبب في المشكلات، ومن ثم ليست هي المفتاح للحلول أيضًا.

غير أنه إذا كانت تعاليمهم ودروسهم تكاد تتشابه، وإذا كانت السياسة مغيبة عن براديمهم بشكل كامل، فما الذي يفسر اختلاف مواقفهم من الثورة والنظام الأسدي إلى حد التناقض؟

من الوضح أن تلك الاختلافات لا تعود لأسباب دينية، ولا لأسباب سياسية، بل إلى أسباب شخصية تتعلق بتاريخ هؤلاء السياسي وعلاقاتهم الشخصية مع النظام الأسدي، ووزنهم الاجتماعي والاقتصادي داخل بيئاتهم المحلية، والرغبة في الوجاهة. فتفسير انحياز آل الرفاعي إلى الثورة -مثلًا- يعود إلى وزنهم الاجتماعي والاقتصادي المعروف داخل بيئاتهم المحلية، وإلى تاريخ علاقتهم بالنظام التي لم تكن على ما يرام حتى إنهم اضطروا للعيش في السعودية لمدة من الزمن قبل أن يعودوا إلى سورية في تسعينيات القرن المنصرم عبر تسويات مع النظام منحتهم بعض الاستقلالية في مساجدهم وعملهم الخيري. أما وقوف محمد حبش إلى جانب الثورة عبر ما أسماه «الطريق الثالث»، فيعود إلى أن أنه كان على خلاف مع كفتارو وجماعته، على الرغم من علاقة المصاهرة بينهم، حيث هاجمه كفتارو شخصيًا في إحدى فتاويه عام 2003 [35]، علاوة على خلافاته مع عدد من وزراء الأوقاف، والتي وصلت إلى حد مطالبته بإلغاء وزارة الأوقاف السورية أسوة بالعراق وعدد من الدول الإسلامية [36]. أما انحياز البوطي إلى النظام بشكل كامل فيعود إلى المنزلة الرفيعة التي خصصها النظام له، وصداقته الشخصية مع حافظ الأسد، وما قيل عن أن الأخير معجب ببعض كتب الثاني، علاوة على أن البوطي كردي تركي الأصل، حيث يعود نسبه ومولده إلى قرية تركية يسكنها أكراد أتراك، أي أنه دخيل على الطبقة الدينية الدمشقية. أما موقف أحمد حسون السلبي من الثورة فيعود إلى الحظوة التي حصل عليها عند النظام، والصراع الذي خاضه مع صهيب الشامي (مفتي سابق لحلب كثر الحديث عن فساده بعد تولي بشار الأسد الحكم)، والذي أسفر عن إغلاق معهد الفرقان الشرعي التابع لأحمد حسون، قبل أن تنقلب الأمور لصالح حسون ويتولى منصب مفتي

(34) محمد حبش، «قانون الأوقاف السوري الجديد.. ترسيخ لنمط الخطاب السلفي»، جيرون، 1- 10- 2018. https://geiroon.net/archives/137480

(35) http://www.kuftaro.org/kuftaro/data/activity/big/item14801/.jpg

(36) محمد الحبش، المرأة بين الشريعة والحياة، (دمشق: مركز الدراسات الإسلامية، دار ندوة العلماء، د. ت)، ص 10.

سورية عام 2005، أما صهيب الشامي فقد غادر سورية عام 2012، واستقر في تركيا، وتتحدث صفحة «محبيه» على "فيس بوك" عن الحظوة والتكريم الذين لقيهما عن مشايخ الطريقة النقشبندية في إسطنبول[37]. من دون أن ننسى «الاتهامات المختلفة» التي وجهها البوطي لمحمد حبش، إضافة إلى مطالبة بعض رموز الطبقة الدينية بعودة كرسي الإفتاء إلى دمشق بدلًا من حلب.

هكذا يمكن القول: إن معادلات العرض والطلب التي فرضها النظام على رموز التديّن الدعوى هي التي حكمت علاقاته بهم. بحيث يحصل هؤلاء الرموز على الحظوة والمنزلة والصلاحيات الواسعة في المساجد ووسائل الإعلام بقدر ما يقدمون من خدمات للنظام، ويدورون في دائرة الولاء والمحسوبيات التي على كل من يقترب من النظام ويريد أن يكون «شريكًا من موقع التابع « أن يدور في فلكها.

المؤشر الآخر الذي لعب دورًا أيضًا في تحديد مواقف بعض ممثلي التديّن الدعوي في سورية من الثورة هي خوفهم من الجماعات ذات التوجه السلفي التي ظهرت في بعض المناطق التي خرجت من سيطرة النظام، ولا سيما جبهة النصرة وجيش الإسلام وتنظيم الدولة الإسلامية. إذا يحتفظ السلفيون بصورة عامة، منذ زمن الحركة الوهابية في الجزيرة العربية، بمواقف سلبية تجاه المتصوفة والدعاة تصفهم بأنهم يدخلون إلى الدين الإسلامي بعض البدع والشبهات، من قبيل الاحتفال بعيد المولد النبوي، ومنح بعض المشايخ كرامات مبالغًا فيها إضافة إلى زيارة أضرحة الصالحين. وبالفعل فقد دمرت جبهة النصرة وتنظيم الدولة الإسلامية عددًا كبيرًا من الأضرحة والمزارات في الرقة ودير الزور وحلب. كما اضطر شيوخ الطرق الصوفية والدعاة غالبيتهم، الذين وجدوا أنفسهم يعيشون في مناطق سيطرت عليها فصائل إسلامية، إما إلى الهجرة إلى خارج سورية أو النزوح إلى مناطق النظام. ومن أشهر الأضرحة والمقامات التي دمرتها الفصائل السلفية هناك مقام «الشيخ عيسى» في شمالي الرقة، وضريح محمد النبهان الموجود في مدرسة الكلتاوية بحلب، ومقام «ستي رحمة» في جبل الزاوية في إدلب، ومقام الشيخ عيسى عبد القادر الرفاعي في دير الزور، ومزار النبي داوود في حلب، ومقام الشيخ عقيل في مدينة الباب شمالي حلب، وغيرها كثير من المزارات والمقامات ومقرات الطرق الصوفية.

خاتمة

1. ينتهي غالبية رموز التدين الدعوي في سورية، بشقيه الدعوي والصوفي، وبتوجهاته المختلفة: المعارض، المؤيد والمحايد، إلى أن مشكلة السوريين تكمن فيهم أنفسهم، وفي ابتعادهم عن الشريعة الإسلامية (تهاون في العبادات، عدم بر الوالدين، عدم دفع الزكاة..)، وتراجعهم الأخلاقي (الكذب، جشع التجار، الاختلاط...)، وعدم نضجهم النفسي (الغضب، الأنانية...)، وهم بذلك يلغون السياسة بوصفها عاملًا أساسي في تكوين الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتربوية للناس، مثلما يقدمون صكوك غفران مجانية لآل الأسد.

تصوير المشكلة على أنها دينية يعود إلى أن هؤلاء يريدون أن يقولوا للسوريين: نحن نعرف أسباب المشكلة ونعرف الحل، في دعوة مبطنة لأنفسهم وترسيخ منزلتهم. وهذا يعني أنهم في النهاية ينتمون للنسق الفقهي الديني الذي تشكل في عصور سابقة، ويريد أن يسطر على المجتمع عبر البراديم الديني.

(37) https://www.facebook.com/-156926161002800/محبي-سماحة-الدكتور-الشيخ-محمد-صهيب-الشامي

ولذلك يعد النظام الأسدي أكبر المستفيدين من هذا الشكل من التدين الذي دأب على تغريب السوريين عن السياسة لصالح باراديم ديني جعل السوري يعتقد أن أوضاعه الدينية والنفسية والأخلاقية هي سبب المشكلات كلها، ومفتاح الحلول كلها.

غير أن مشروعاتهم الدعوية تعاني وجود حلقة مفقودة، تتمثل في أنه للمشكلات المعيشية والفساد والظلم وحتى الابتعاد عن تعاليم الدين الإسلامي أسباب سياسية في الأصل تتعلق بنظام الحكم ومؤسساته. وهذا يعني أن المشكلة بالأساس مشكلة سياسية لها نتائج دينية، وليست مشكلة دينية لها نتائج سياسية.

2. يردد غالبية وجهاء التدين الدعوي، بطريقة أو أخرى، كلام الشيخ محمد عبده (أواخر القرن التاسع عشر) الذي قاله بعد عودته من أوروبا بأنه وجد هناك إسلامًا، ولم يجد مسلمين، وعندما عاد إلى الشرق وجد مسلمين، ولم يجد إسلامًا. حل هذه المفارقة بالنسبة إلى التدين الدعوي بالعودة إلى الإسلام وتعاليمه، أي بعودة المسلمين شكلًا إلى الإسلام مضمونًا. غير أن هؤلاء يتجاهلون أن تطبيق تعاليم الدين الإسلامي الإنسانية «الموجودة في الغرب»، والمقصود هنا العدالة والمساواة والحقوق، تحتاج بدورها إلى نظام سياسي يطبقها، لأن علة تنظيم المجتمع في الغرب وعدالته هو النظام السياسي، وليس مدى التزام الغربيين بتعاليم الأديان.

وهذا يعني أن عودة المسلمين إلى قيم الإسلام الإنسانية تمر عبر نظام الحكم الذي ليس من الضروري أن يكون إسلاميًا، ولكن من الضروري أن يكون على شاكلة نظم الغرب، أي ديمقراطيًا يؤمن بالعدالة والمساواة على الأقل. مثلما يعني أيضًا أن منظري التديّن الدعوي يتجاهلون أن تطبيق تعاليم الدين الإسلامي الإنسانية لا يحتاج إلى نظام إسلامي أصلًا (حالة أوروبا). ما يقودنا إلى الاستنتاج أن مسألة تأخر المسلمين -كما ذكرنا - مسألة سياسية، وليست مسألة دينية.

يركز براديم الإسلام الدعوي على الثقافة الشعبية، ويعتبرها هدفه الكبير، ويحاول السيطرة عليها بكل الوسائل، لاعتقاد غالبية رجالاته أن منزلتهم وسلطتهم تأتي من مدى شعبيتهم. ولذلك فإن هذا النوع من التدين ينتمي إلى الأنساق الثقافية التي تحاول السيطرة على الثقافة الشعبية، وليس إلى الأنساق التي تقف بجانب الشعوب. أي إلى نسق الثقافة المهيمنة، وليس إلى نسق الفئات المهيّمن عليها. وهنا تكمن مفارقة أخرى تعود إلى السوريين أنفسهم، فالسوريون المسلمون غالبيتهم يعتقدون أن الدعاة في صفهم، ويسدون النصح لهم، ويريدون الخير لهم، وأنهم فقط غيورين على الإسلام والمسلمين، أي إنه ليس لهم غايات شخصية أو مادية، وهذ ليس صحيح البتة. النسق الثقافي الذي يقدم نفسه على أنه منزه من الأغراض من أخطر الأنساق، بحسب بيير بورديو[38]، لأنه يحصل على شعبية غير حقيقة، ويتم تبنيه حتى من قبل من يكون النسق موجهًا ضدهم في الأصل. البنية الخفية/ الظاهرة لخطاب الدعاة تقوم على أن السوريين العاديين بحاجة إلى الدعاة والمتصوفة، لأن هؤلاء بمفردهم لا يعرفون كيف يفسرون الآيات الكريمة، ولا كيف يطبقون احكام الشريعة الإسلامية، أي أن المسلمين من دونهم سينحرفون ويسلكون طريق الظلال. ومن ثم، فإن هذا البراديم الدعوي يشترك مع النظم

(38) بيار بوردو، أسباب عملية- إعادة النظر بالفلسفة، أنور مغيث (مترجمًا)، (بيروت: دار الأزمنة الحديثة، 1998)، ص 30.

الدكتاتورية في المنطقة من حيث إنه لا يثق بالمسلمين/ السكان، ولا يرى أنهم أهل للحرية، ولا يعرفون كيف يستخدمون حقوقهم.

3. خطاب الدعاة خطاب متبرئ من المشكلات، يشير إلى المشكلة، وينبه إليها، ولكنه خطاب متنزه عن المشكلة بالوقت نفسه، ولا يحمّل الدعاة والمشايخ أي مسؤوليات تجاه أوضاع السوريين، لأنه يحمل السوريين أوزار كل ما يحصل لهم. خطاب يشبه في جوهره خطاب النظام الأسدي من حيث إنه خطاب يبرئ نفسه من أوضاع السوريين وأزماتهم، على الرغم من أنه هو أكبر المتسببين بهذه الأزمات.

ولعل هذا ما يفسر جزئيًا انتشار ظاهرة عدم ثقة السوريين بعضهم ببعض، وكثرة نقدهم بعضهم بعضًا. فنصف قرن من الاستماع إلى خطاب ينسب إلى السوريين كل أنواع الأفعال والسلوكيات اللاأخلاقية واللادينية، من قبل سلطة لها منزلة معنوية عالية في قلوب السوريين أنفسهم أمرًا ليس سهلًا، ولابد من أن يترك أثره لمدة من الزمن.

4. يمكن القول إن مصالح شيوخ التدين الدعوي الشخصية تشكل مربط الفرس في تصوراتهم للوضع في سورية. فهم يحشرون أنفسهم بين خيارين أحلاهما مر. فهم إما أن يجعلوا السياسة هي سبب المشكلات، ومنها تأتي الحلول كلها، وبذلك يقدمون استقالتهم بأيديهم من دوائر السلطة والنفوذ، أو يجعلون الثورة وكامل أوضاع السوريين مسألة دينية، ناتجة عن عدم التزام الناس بالشريعة الإسلامية وتراجعهم الأخلاقي، وبذلك يخرجون السياسة من المعادلات. فهم في النهاية طلاب سلطة وجاه لا أكثر ولا أقل، وإن اختلفت أساليبهم وأيديولوجياتهم عن طرق النظام الأسدي.

5. ينتمي الدعاة والمتصوفة إلى أيديولوجية دينية، ومن المعروف عن الأيديولوجيات الدينية، وهذا ينطبق على الأيديولوجية القومية العربية أيضًا، أنها لا تتهاون مع المستعمر والعدو الخارجي، ولكنها تتهاون بالمقابل كثيرًا مع النظم الطاغية، ولا تعطي قضايا الحريات السياسية والحقوق والعدالة والشفافية ومكافحة الفساد الأولوية. حتى يمكن القول إن أغلبية رجالات التدين الدعوى، من المعارضين والموالين، غارقون في الفساد، وتدور حولهم شبهات كثيرة.

6. السلطة والشعبية التي يتمتع بها رموز الإسلام الدعوي لا تعود إلى صوابية منهجهم في تفسير وضع السوريين، والمسلمين عمومًا، بل تعود أساسًا إلى تلاشي أي هوية سياسية للسوريين، قومية أو وطنية، ومن ثم لجوئهم إلى الهوية الدينية بديلًا، حتى لو كان بديلًا وهميًا. لقد فقد السوريون أي قناعة بالهوية القومية نتيجة ممارسات النظام السوري منذ انقلاب عام 1963، والقائمة على الاستفادة من العواطف القومية من أجل الاستلاء على السلطة بالقوة، وضرب عرض الحائط بالمصالح الوطنية والقومية كلها، والشروع في نهب ممنهج للبلاد، وإيقاف الحياة السياسية، ومنع الحريات وفرض قانون الطوارئ لأكثر من 50 سنة.

أما الهوية الوطنية السورية فلم تر النور أصلًا، سورية الحديثة دولة أتت بها اتفاقيات سايكس بيكو، ولم تكن دولة تعبر عن مجموعة بشرية بينها مشتركات وروابط. في مثل هذا الحالة على الدولة أن

تبني مثل تلك الروابط لتخلق نوعًا من الحميمية بين الدولة وسكانها. عندها تنشأ هوية انتماء للدولة وكيانها السياسي والجغرافي. غير أن الدولة السورية الحديثة لم تُعط الفرصة الكافية لتكوين مثل تلك الرابطة بين السكان والدولة. والسبب في ذلك انقلاب العسكر على الحياة السياسية القصيرة في سورية في مرحلة ما بعد الاستقلال.

هكذا يجد السوري نفسه اليوم أمام وضع «وطني» معقد. دولة ليست وطنية، يضاف إليها اليوم تصاعد هويات طائفية تحت وطنية، وهوية قومية تكاد تنعدم الأسس الواقعية لتحقيقها، إضافة إلى خوف من المستقبل، وعسكرة المجتمع. ذلك كله مهد الساحة أما الإسلام الدعوي للظهور والتوسع بوصفه البديل من كل ما سبق. هذا الوضع الصعب والمتوتر هو الذي ساعد في إخفاء حقيقة الإسلام الدعوي من حيث هو في النهاية نموذج سلطوي يهتم بالسلطة والمال والمنزلة والوجاهة أكثر من أي شيء آخر، نموذج يحمّل الناس مسؤولية كل ما يجري لهم، بغض النظر عما إذا كان الداعية مؤيدًا أو معارضًا للثورة. ولعل هذا ما يفسر أيضًا تشابه تفسيرات أسباب نشوب الثورة السورية بين محمد راتب النابلسي مثلًا (ابتلاء) وتفسيرات الدعاة المؤيدين للنظام (ابتلاء).

7. إن المفاهيم التي يستخدمونها: الظلم، العدل، التسامح، الخلاص، الأخلاق، الحقوق..، أصبحت مفاهيم ليس لها أي دلالة في السياق السوري. لأنها بكل بساطة مفاهيم ليست مهمومة بذلك الواقع، إلا في حدود الرغبة في السيطرة على السوريين. إنها مفاهيم عائمة بلا زمان ولا مكان ولا هوية ولا معنى ولا اتجاه.

8. دعوات الناس لفعل الخير وبر الوالدين والالتزام بالشريعة الإسلامية ونبذ التحاسد والغيرة والبخل والتعصب؛ أمور لم تخف يومًا النظام الأسدي، ولا أي طاغية عربي، ولن تخيفه، لأنها مجرد دعوات أخلاقية ونصائح الكل يعرفها ويحفظها عن ظهر قلب منذ مئات السنين، حتى إنها موجودة لدى الأديان كلها. ما يخافه النظام الأسدي هو تحول المواعظ إلى أفعال عبر آليات معينة. أي تحول الأمر إلى عمل سياسي. غير أن الدعاة لا يؤمنون بالعمل السياسي، وهنا تكمن مفارقة أخرى من مفارقات ممثلي الإسلام الدعوي: يريدون أن يؤثروا في الساحة السياسية، ولكن من دون أي عمل سياسي. إنهم بكل بساطة يفكرون بالقضية السورية من حيث هي مشكلة غير قابلة للحل البشري المنظم. كلام بلا أي معنى سياسي.

طرح حلول لا واقعية لمشكلة واقعية أمر يخدم المستفيدين من المشكلة، وليس ضحاياها. إعطاء أسباب لا سياسية لمشكلة سياسية يخدم المتسببين بالمشكلة، ويضيع حقوق أصحاب المشكلة.

9. سلطة رجالات الإسلام الدعوي في سورية مزيفة في النهاية. وإذا شئنا الدقة يمكن وصفهم بأنهم ضمن النسق السياسي المُهيمن على سورية، ولكنهم فئة مُهيمَن عليها ضمن هذا النسق [39]. وضعهم يشبه إلى حد كبير قيادات حزب البعث، فعلى الرغم من أنهم يشكلون جزءًا أساسيًا من السلطة السياسية في سورية، إلا أنهم يشكلون في النهاية فئة مأمورة، أو

(39) استعرنا هذا التشبيه من بيير بورديو، حيث يشبه المثقفين في العالم الرأسمالي بأنهم فئة مهيمنة في المجتمع ولكنها مهيمن عليها من السلطة السياسية بالوقت نفسه، راجع:

- بيير بورديو، مسائل في علم الاجتماع، هناء صبحي (مترجمة)، (دبي: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، 2012)، ص 100.

تابعة، ولسلطتها سقف واضح لا يمكن لها أن تتجاوزه. الدعاة شريك في السلطة، ولكن من موقع التابع، وليس من موقع الند.

يضاف إلى ذلك أن الدعاة في النهاية لا يؤمنون بالحريات والديمقراطية (الأهداف العريضة للثورة السورية)، لأنها قضايا مستجلبة من الغرب الذي يريد بدوره الهيمنة على بلاد المسلمين. وهذا يعني في النهاية أن ما يجمع بين الدعاة والنظام الأسدي أكثر بكثير من الذي يجمع بينهم وبين السوريين، خاصة إذا طالب هؤلاء بحرياتهم وكامل حقوقهم وفق النموذج الغربي.

10. إن رجالات الإسلام الدعوي في سورية مطالبون بإعادة حساباتهم بشكل جذري، وتشجيع الناس على طلب حقوقهم من الحكام ولو بالقوة، ونبذ الفتاوى التي تنافق للأنظمة، والتخلي عن الجري وراء مصالحهم الشخصية والاستمتاع بالنجومية، وبكلمة أخرى تكوين نظرية جديده للسياسة وعلاقة الدين بها، ورفع الوصاية الدينية على السياسة، وإلا سيظلون يخدمون النظام السوري، من حيث يدرون أو لا يدرون.

المصادروالمراجع

1. البوطي. محمد سعيد رمضان، هذا والدي، (دمشق- بيروت: دار الفكر- دار الفكر المعاصر، 1995).
2. الحبش. محمد، المرأة بين الشريعة والحياة، (دمشق: مركز الدراسات الإسلامية، دار ندوة العلماء، د. ت).
3. النووي. أبي زكريا يحيى بن شرف، المقاصد، برهان محمد بدر الدين الشاعر (محققًا)، (دمشق: مكتبة الغزالي، 2001).
4. بوردو. بيار، أسباب عملية: إعادة النظر بالفلسفة، أنور مغيث (مترجمًا)، (بيروت: دار الأزمنة الحديثة، 1998).
5. بورديو. بيير، مسائل في علم الاجتماع، هناء صبحي (مترجمة)، (دبي: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، 2012).
6. بكار. عبد الكريم، المسلمون بين التحدي والمواجهة: حول التربية والتعليم، (دمشق: دار القلم، 2011).
7. رايسنر. يوهانس، الحركات الإسلامية في سورية، محمد إبراهيم الأتاسي (مترجمًا)، (لندن: رياض الريس للكتب والنشر، 2005).
8. سعيد. جودت، أقرأ وربك الاكرم، (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1998).
9. شميل. آنا ماري، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب (مترجمان)، (بغداد – كولونيا: منشورات الجمل، 2006).
10. هيدمان. ستيفن، التسلطية في سورية: صراع المجتمع والدولة، عباس عباس (مترجمًا)، رضوان زيادة (مراجعًا)، (لندن: رياض الريس للكتب والنشر، 2011).